تأملات معلمين في مساقات "القطان" في الخليل

نادي نصار

نظم مركز القطّان للبحث والتطوير التربوي، وللسنة السادسة على التوالي، في الفترة بين 22 تموز – 25 تموز 2006 مساقات صيفية مكثفة، ولأول مرة، لمعلمين من مناطق مختلفة من مدينة الخليل، ويعملون في مدارس حكومية ووكالة، وامتدت على مدار 4 أيام بمعدل 5 ساعات يومياً.

وتضمنت المساقات خمسة محاور هي: **رعاية تعليم التفكير** وأشرف عليه كل من دعاء دجاني وناجح شاهين، وشارك فيه 15 معلماً ومعلمة من مختلف التخصصات والمراحل، **رياضيات ذات معنى** وأشرف عليه وائل كشك، وشارك فيه 20 معلماً ومعلمة لمعلمي ومعلمات الرياضيات للمراحل كافة، **مقدمة في الدراما كسياق تربوي** وأشرف عليه وسيم الكردي، وشارك فيه 28 معلماً ومعلمة من مختلف التخصصات والمراحل، **شاعرية التجربة: السرد والكتابة والهوية** وأشرف عليه مالك الريماوي، وشارك فيه 22 معلماً ومعلمة لمعلمي ومعلمات اللغة العربية والعلوم الاجتماعية من الصف 5–11، **الذكاء العاطفي في السياق التربوي** وأشرفت عليه ليانا جابر، وشارك فيه 22 معلماً ومعلمة من مختلف التخصصات والمراحل.

وكان معلمو منتدى دورا الذين حضروا تلك المساقات عقدوا اجتماعاً يوم الخميس 3/ 8/ 2006 لتقييم الإفادة الحاصلة وتبادل الخبرات، وكانت نتائج الحوارات والنقاشات على النحو التالي:

رياضيات ذات معنى

كانت الدورة جيدة وموفقة إلى حد كبير في توضيح رؤية معلم الرياضيات اتجاه وضع حلقات من المعاني لبعض المفاهيم في المادة التي تتسم غالباً بالجفاف والجمود، فإيصال الفكرة إلى الطالب غاية يريدها المعلم والطالب على حد سواء، ولكن الطريقة التي توصل تلك الفكرة يشوبها الكثير من الغبن، وتختلف من موقع إلى آخر تبعاً لطبيعة المعلم وأسلوبه ونوع الطالب المشارك. وبأسلوب حواري هادئ تميز فيه هذا اللقاء، كان المشرف وائل كشك العامل الرئيس في توصيل الفكرة للمشاركين، بحيث حاول المشاركون جميعاً التفاعل مع بعضهم البعض للوصول إلى رياضيات ذات معنى.

ومن السيميائية انطلقت الفكرة الأولى، وبكونها تشكل جانباً من لغة التفاهم بين المعلم والمتعلم؛ لما للحركات والإشارات والنغمات الصوتية وتقاطعات الوجه من دور في لغة التخاطب بين الاثنين، وجدنا أن الطريقة التي يتم توصيل الفكرة من خلالها يجب أن تكون مبنية على أسس التعزيز، ومن هنا كان للعلاقة بين اللغة والرياضيات سبب وجيه لتوصيل فكرة أية علاقة رياضية، بحيث وجدنا أن الرياضيات تحتاج إلى اللغة للتعبير عن ذاتها، واللغة تحتاج للرياضيات للتعبير عن بعض جوانبها، لتصل إلى حد كمالها وجمالها. إذاً، فالعلاقة تكاملية بينهما، ولهذا نجد أن معظم الفلاسفة والأدباء والشعراء كانوا غالباً على علم بالرياضيات مثل عمر الخيام، وأرسطو وغيرهما، وادخلوها إلى أدبهم ومؤلفاتهم للتعبير في أحيان كثيرة عن الرمزية الجمالية.

وفي اليوم الثاني انطلق الحديث عن كيفية إعطاء معنى لعلاقة رياضية رقمية، وكيف أن الرقم يفهم معناه من خلال السياق الذي وجد فيه، ثم انتقلنا في اليومين الثالث والرابع لطريقة التعبير عن موضوع

رياضيات معين لحصة صفية معينة بقصة يتناولها الطالب، وتكون طريقته لفهم ذلك الموضوع، بحيث تغطي تلك القصة، ليس المعرفة الرياضية فحسب، بل كل العلوم تقريباً حسب أحداث القصة والعلاقة التي تعبر عنها، ما يولد نوعاً من التكامل الثقافي بين مجمل المواد الدراسية للطالب، وربط بعضها ببعض بشكل تكاملي، وقد كان الحوار بناءً إلى حد كبير، بحيث أنه وفي اليوم الرابع كُتبت أكثر من سبع قصص لمواضيع معينة، وتم توزيع إحداها على الحضور في الحفل الختامي للأيام الدراسية. وفي نهاية الأيام الدراسية أعرب المشاركون عن سعادتهم بالأيام الدراسية مؤكدين أهمية تكرار هذا النشاط في المستقبل تحت عناوين مختلفة.

الدراما كسياق تربوي

"القصة في بنيتها النصية والفكرية نهضت على بنية التضاد، تضاد في الواقع الذي تشيده وتضاد سيكولوجي نفسي يسمي المعالم الداخلية لشخصياتها وسلوكياتها". بهذه المقولة بدأت أنكش أفكاري في مساق الدراما كسياق تربوي، وأغمض عيني على واقع مقولة علقت في أذهان الجميع وحفرها في قلبي وحفرت لها حفرة في جسدي ورواها بالفكر مستكشفاً القصة ومنتجاً الإبداع كل من مالك الريماوي ووسيم الكردي. لن أطيل السرد عما زينا فيه حجرة العلم التي أسير فيها بحلة جديدة، منطلقاً نحو العطاء والتفكير وإنتاج المحصول وربيعه بثمن غال.

هناك صراع أزلي بين قصة الإلقاء وقصة الدراما، ما تعنيه الثانية من تفتيح للعقل وتوسيع في عالم الطبيعة وقولبة التفكير إلى واقع حقيقي ليس بالقول فقط، بل بالفعل أيضاً.

أقولها بصدق تام، خضع فكري مع ما أسماه مركز القطان بالدراما، كنت أركض بعمله لأرى ماذا سيقول وسيم هذا اليوم، يا سلام، أنا انتظر بلهفة وبشده كأني أتسابق مع الزمن الذي أعيش فيه، وكل يوم من الأيام التي قضيتها في هذا المساق، وكأني أعرف وأريد أن أعرف ماذا سنفعل اليوم، ولكن تحدق عيناي! استنكاراً، واستغراباً، ماذا يقول هذا الشخص؟ وما هذه التجارب التي نقوم بها؟ ولكن أجد الجواب بعد كل حين وبين الفينة والأخرى. أقول لو أني وقفت أمام تلاميذي وأردد ما يقوله وسيم وأربط خيط الفكرتين بعالم تلاميذي وبين أفكار الحاضر والماضي، أنسج الحلم الذي يحدق به تلاميذي من نوافذ الفكر لهم إلى تضاريس إبداعية تحط بها على واقع الطالب الذي يجلس على كرسي العلم والمعرفة، ننتقل من سسيولوجية الفشل الدراسي إلى توظيف المسرح بكل أشكاله، ومسرح العرائس في تعليم فن الاستماع والفكر والإبداع، نجعل مثال مكاملة بين عملية التعلم وسر العاطفة الخفي في الطفل المبدع. ماذا استفدنا من المساق؟

- كيف نوازن بين شخصين؟
- كيف نجعل الشخصين في ثوبين مختلفين؟
- كيف نوظف الخيال في القصة؟
- كيف نبني الإبداع؟
- كيف نحدد الغاية؟
- كيف نختار الصورة ونكتب الخبر؟

السرد والكتابة والهوية

تناول هذا المساق العديد من الموضوعات المفيدة التي لها أهمية بالغة في حياة المعلم التربوية؛ كالسرد السليم، والكتابة المتنوعة، والتعرف على كيفية أداء الحصة بطريقة جيده ومفيدة. إن تجديد الإطار الفكري للفرد وخلق إمكانية كتابة التجربة الذاتية أحياناً من خلال التأمل كانت من بين المحفزات والمحطات لهذا المساق، علاوة على النقاش الإثرائي والمداخلات والتمثيلات التي أعطت انطباعاً عند البعض أنه يعيش على أرض الواقع، ويعبر عن ذاته. كما كان التعرف على أشخاص جدد، والنقاش من بيئات مختلفة عنصراً مهماً في إنضاج عملية السرد لكافة نواحي الحياة والتعبير عنها، علاوة على كتابة تجاربنا ومحاولة التعبير عنها. وأقول أن أسلوب المدرب علاوة على لغته كانا مميزين، ما ساعد البعض على المشاركة في المساق بنوع من التشويق والترقب.

ومن كثرة ما كانت سعادة الجميع غامرة بالمساق وتنوعه، على الرغم من فترته القصيرة، فإننا نتمنى أن يتم عقد أمثاله وبمواضيع شتى في المستقبل، حتى تكون الفائدة اكبر وأكثر إلماماً.

ولذلك فإننا نوصي بتطوير تلك المساقات لتشمل أموراً أكثر اتساعاً، وإعطاء وقت كافي لتغطيتها من النواحي كافة، وأخيراً الاهتمام أكثر بنوعية الفرد لخلق جيل واع متفهم لنوعية الأداء والتجربة والسرد.

الذكاء العاطفي

تناول هذا المساق محاور عدة، منها الوعي بالذات، والفضول والدافعية، والتفاؤل، والتعاطف، والاستقامة.
وكان المساق جديداً بالنسبة لي، وقد كانت موضوعاته سببا في التحاقي به، فقد جرت العادة على نعت الطالب بالذكي بناءً على تميزه في اللغات أو الرياضيات أو العلوم وغيرها من المواضيع، فيما لا يعير معظم المعلمين الذكاء العاطفي أي اهتمام، ولا يدركون أهميته لنجاح الطالب في حياته على جميع الأصعدة.
وركز المساق على تعريف المعلمين بالذكاء العاطفي وعناصره المختلفة، وعلى تكامل الذكاء العاطفي مع المواضيع الأخرى، وتوظيفه من خلال الحصص الصفية.

نادي نصار
منتدى معلمي دورا